

ولالأخوة العامة التي أدخلهم الاسلام بها حين مدّ ظله على الأمم
وأراد أن يمحو الفروق بين بني آدم

- ٢ -

وأما الترك فكان أكثرهم قبائل أمية لا تعرف قراءة
ولا كتابة ، وتسربت الى طوائف منهم كتابات الأمم المجاورة .
كتبت بمض الأسماء والألقاب التركية بالهيروغليفية الصبينة في
القرنين السابع والثامن بعد الميلاد . ولما أريد تنصير الترك النازلين
على بحر الخزر في القرن السادس ترجم لهم الكتاب المقدس ،
وكتب بالحروف اليونانية . وكذلك كتبت التركية بالحروف
اليونانية في جهات الطونة ، وكذلك كتبت التركية بالعبرية ،
والنسطورية ، والهنديّة ، والسلافية ، والأرمنية الخ الخ
وقد أُر عن جماعات من الترك ضربان من الكتابة يمكن أن
يعدّا كتابة تركية . وهما الخط الأورخوني الذي دلت عليه الآثار
التي عثر عليها حوالى نهر أورخون في سيبيريا ، والخط الأويغوري .
والأول كتبت به تركية الشمال ، والثاني كتبت تركية الجنوب
فأما الخط الأورخوني فيرى أكثر العلماء أنه مشتق من
الخط الآرامي القديم . وقد كتب به فئات من الترك من القرن
الرابع الميلادي الى القرن الثامن . وهو مؤلف من ثمانية وثلاثين
حرفاً ، أربعة منها حروف حركة ، وثلاثة منها مركبة . ويوصل
به غالباً كلمتان أو ثلاث معاً . وأحياناً يستغنى بالحرف من الكلمة
فتكتب (ت) للدلالة على آت (فرس) و (ز) للدلالة على آز
(قليل) وهكذا . ولا ريب أن هذا الخط لا يقاس بالخط العربي
وضوحاً ويسراً وكلاً

وأما الخط الأويغوري وهو أحدث الخطين ، وأطولهما عمداً ،
وأوسمهما انتشاراً ، فيظن أنه حل محل الخط الأول منذ القرن
الثامن الميلادي . كتبت به أول الأمر ترجمة الكتب البوذية ،
وبقى بين الأويغوريين وغيرهم من الترك ، بعد أن دخلوا في
الاسلام فكتبت به الدولة الخاقانية في كاشغر (٣٢٠ - ٦٠٩ هـ)
والدولة الجنكيزية ، والابليخانية (٦٥٤ - ٧٤٤) ودولة آلتون
أوردو في قفجاق (٦٢١ - ٩٠٧) . وكتبت به بعض الكتب
الاسلامية حتى القرن العاشر الهجري . وهذا الخط مشتق من
الخط الصُندي والصُندي مأخوذ من الآرامية أيضاً ، وهو
أربعة عشر حرفاً يدل بعضها على أصوات مختلفة . وهو من

٤ - النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

الحروف العربية

انتشر الاسلام بين الأمم فدخل الناس في الاخوة الاسلامية
وصاروا أمة واحدة ، وأخذوا اللغة العربية لسان الدين والعلم ،
لا يكتبون غيرها
ولما حيت لغاتهم على مرّ الزمان بجانب العربية كتبوها
بالخط العربي الذي ألفوه ، وترك من كان ذا كتاب منهم كتابته
الأولى . ولم يخلصوا في هذا شيئاً إذ كانت الكتابة العربية على
علاقتها أوضح وأيسر مما كان عندهم

- ١ -

كان الفرس يكتبون بالخط الفهلوي ، وهو مشتق من الخط
الآرامي القديم ، والخط الفهلوي مبهم مشكل . قال الأستاذ
براون إنه يصدق فيه ما قاله أحد الفرنسيين عن الخطابة لها فن
إخفاء الأفكار ، يعني أنه خط يخفى الألفاظ . ذلك بما تشابهت
حروفه ، وبما اشتركت الأصوات المختلفة في بعض الحروف .
وقد أدى هذا اللبس الى ما لم يمهده التاريخ في لغة أخرى . كان
الكتاب يكتبون كلمة آرامية مكان كلمة فارسية خوفاً من اللبس ،
فاذا قرأوا نطقوا بالكلمة الفارسية غير المكتوبة ، وتركوا
الآرامية المكتوبة . روى عن ابن المقفع أنه قال : إن في اللغة
الفهلوية ألف كلمة تقرأ ولا تكتب . وروى ابن النديم في المهرست
من أمثلة هذا أنهم كانوا يكتبون كلمة « بسرا » الآرامية ويقراءون
گوشت (لحم) بالفارسية ، ويكتبون « لها » الآرامية
ويقرأون نان (خبز) بالفارسية

ولم تكن الألفاظ الآرامية مقصورة على ما يستعار من لغة
الى أخرى من الأسماء ، بل كان فيها أفعال وضمائر وإشارات .
وكانوا يلحقون بالكلمات الآرامية خواتم فارسية الخ ، ومن أجل
صعوبة الخط الفهلوي ندر القارئون في ذلك المهد
فكان خيراً للفرس أن كتبوا لغتهم بالحروف العربية لهذا ،

الرومي وهو أول ناظم بالتركية الثمانية نجد رسم الكلمات الآتية على هذا النسق : أل (هذا) كُرُر (رى) يغمز (لا ينظر) كُنْس (الشمس) أُرُر (يكون) أَيْدَا (فى القوم) أَجْر (يطير) ، فاذا قرأنا فى كتب التأخرين وجدنا الرسم قد تمسح على هذا النسق : أول ، گوروو ، باقاز ، گونش ، أولور ، أويقوده ، أوجار

وإذا قرأنا فى الكتب التى كتبت قبل ثلاثين سنة لا نجد حروف الحركة مثبتة فى كل مقطع . فاذا نظرنا فى الكتب التى كتبت من بعد وجدنا اطراد حروف الحركات فى مقاطع الكلمة . كانت الكلمات الآتية ترسم كما ترى :

تميز (نظيف) آرقداش (أخ) حكينش (واسع) دها (أيضاً) گبى (مثل) قدر (مقدار) دكل (ليس) درين (عميق) گوزل (ظريف) فصارت بعد كما يأتى :

ته ميز (الماء علامة الفتحة الخفيفة) أرقداش ، گه نيش دها ، گبى ، قذار ، ده كيل ، ده رين ، گوزه ل

وكان يسع الكمالين أن يسيروا على هذه السيرة واصابن حديثهم بقديهم مبقين على ما دون أسلافهم ، ولكمهم آروا ، إنفاذاً لخطتهم ، أن يبنوا الحروف العربية ، وهى الحروف التى يكتب بها مسلمو العالم كافة ، ولفقوا هجاء من الألمانية والفرنسية والابطالية قبلوا الكمال المطلوب ولحقوا بالمادة الأوروبية .

ولست أقول ما قاله أحد كبار الفرس لأديب تركى يناظره فى الحروف اللاتينية : « إنكم معشر الترك ليس لكم من آدابكم ما تفخرون به فآرتتم أن تسلموا عليها سترآ من الحروف اللاتينية ولكن لنا من آدابنا ما نفخر به ونحرص على قراءته فى كل جيل فلننا نريد أن نغير كتابتنا » لست أقول هذا فى الأدب التركى

القديم ما هو جدير بالرعاية ، وقد اتفق الترك فى تجويد الخط حتى صاروا أئمة فيه وصار لهم من آياته ما يجدر بكل أمة أن تحرص عليه مسألة الحروف اللاتينية ليست فيما أرى ضرورة أو إصلاحاً ولكنها فتنة من فتن تقليد أوروبا التى ضربت الشرق طامة والمسلمين خاصة بالدلة والموان ، وقد بلغ الأمر أن يرى بعض الناس أن تكتب اللغة العربية أيضاً بالحروف اللاتينية ، فاذا قلت لهم فاصنعون بأحد عشر حرفاً من الهجاء العربى ليست فى الحروف

اللبس والعسر بحيث لا يقاس بالخط العربى أيضاً فكان من نعم الاسلام أن يدل بهذين الخطين الخط العربى الذى صار خط الأمم الاسلامية جماء . ثم الآثار القليلة التى أشرت فى الخطين الأورخونى والأوبورى فى بقاع ضيقة ، وموضوعات قافية لا تقاس بما كتب باللغة التركية والحروف العربية فى العهد الاسلامى إذ أقاد الترك من الحضارة الاسلامية ، ودخلوا فى جماعة المسلمين ، وتمكن سلطانهم بينهم

— ٣ —

والتركية الثمانية التى اختيرت لها الحروف اللاتينية أخيراً لم تعرف فى تاريخها غير الحروف العربية ، ولم تدون إلا فى ظل الحضارة الاسلامية بعد سبعة قرون من الهجرة

دخل السلاجقة فى الاسلام ثم أقاموا دولتهم فى القرن الرابع وفتحوا بغداد سنة ٤٤٧ ، وامتد سلطانهم على آسيا الغربية من أفغانستان إلى البحر المتوسط . ثم تقسم الخلف ميراث السلف فكان من الدول السلجوقية المتعددة دولة سلاجقة الروم وهى التى نشأت فى الأناطول وما يصاقبه

وكان الأدب الفارسى فى القرن الخامس قد ازدهر بجانب الأدب العربى ، فأخذ السلاجقة حضارة الاسلام باللغتين العربية والفارسية . فكانت العربية لغة العلم عند سلاجقة الروم والفارسية لغة الدواوين . وكان الأدب التركى مقصوراً على العامة ، غير مدون

ولما نشأت إمارة قرمان بعد منتصف القرن السابع صارت التركية أول صرة لغة الدواوين وكتبت بالحروف العربية وقد اشتملت هذه التركية المكتوبة على كثير من الكلمات العربية والفارسية

— ٤ —

وكانت الكتابة التركية فى عهدها الأول تقارب الأسلوب العربى لا تكتب فيها حروف الحركة إلا قليلاً . ثم أثبتت حروف الطة والماء للدلالة على الحركات دون تميم . ثم انتهى الأمر فى العصر الأخير إلى أن كتبت حروف الحركة فى كل كلمة فصارت الكتابة التركية كالكتابة اللاتينية : كل حرف صحيح يليه حرف معتل للدلالة على الحركة

فاذا قرأنا مثلاً فى ديوان سلطان ولد ابن مولانا جلال الدين

الحركة إن شئتم ، أو افعلوا غير ذلك إن استحسنتم ، فأما أن تقولوا كتبت أوروبا فنكتب مثلها فذلك ضلال العقول ، وهوان النفوس ، والموت الذي لا يستره باطن الأرض

ثم لا تنس يا أخي أن اللغة العربية لغة أوزان وصيغ ، فليست كل كلماتها في حاجة إلى الشكل ، ولو اتسع المجال لأبنت لك أن الكاتب العربي يستطيع أن يكتب سطوراً لا يحتاج فيها إلا إلى أشكال قليلة ، وقد ضريت مثلاً من هذا في مقدمة الشاهنامه - هب ما قلت صواباً ، فإذا ترى في شكوى أصحاب المطابع من كثرة صور الحروف العربية : للحرف صورة في أول الكلمة وأخرى في وسطها وثالثة في آخرها ، على حين لا يرى الطابع الأوربي أمامه للحرف إلا صورة واحدة - بل صورتين صغيرة وكبيرة

- أجل وهذه ميزة أخرى للحروف اللاتينية
- هذه الشكاوى هي شكوى أصحاب المال من كثرة المال ؛ كل صاحب مطبعة يود أن يديرها عامل واحد ، ليأخذ كثيراً ويعطى قليلاً ، وأما القارى فسيان عنده أن يكون الذين همأوا الجريدة خمسة عمال أو حائة ، ثم أخبرتني : ما الذى جعل للحروف اللاتينية هذه الميزة ؟

- صور هذه الحروف ، ثم فصل بعضها من بعض
- قد كانت الحروف اللاتينية كلها موصولة ولا تزال توصل في كتابة اليد ، فلما كانت المطابع استحسن الأوربيون أن يفصلوا بعضها من بعض ، فما الذى يمنكم أيها القلدون أن تفصلوا حروفكم فلا يكون للحرف في الطبعة إلا صورة واحدة ؟
- هذا يبدو لي صواباً ولكنه عجيب غريب

- أعجب منه أن تفكر في كتابة لغتنا بالحروف اللاتينية . قد هانت علينا نفوسنا حتى صار التقليد يدبراً قريباً ، والاختراع مهما قل عجيباً غريباً
- لا تنس أن العلوم والمخترعات قربت بين الأمم وطوت المسافات بين أطراف الأرض . والأمم صائرة إلى التوحيد فلماذا لا تكتب لغات الأمم كلها بالحروف اللاتينية ؟

- أجل قربت العلوم والمخترعات بين الأمم ، ولكن أوروبا لا تعرف الأخوة بين الناس ، ولا تزال تفرق بينهم بأفخه الأشياء وهي الألوان . والتوحيد الذى تريده أوروبا أن تكون هي آكلة

اللاتينية ؟ قالوا نضع لها حروفاً لاتينية بالتركيب أو النقط . قياساً على الأمم ، وطار الأجيال ، وموتى النفوس ، لماذا يجمعون من أنفسهم واضعين مخترعين في حروف اللاتينية ، ولا تكلمون ما في حروفكم من نقص ، وتصلحون ما بها من عيب ؟ جرى الجدل بينى وبين واحد منهم فكان منه الجواب الآتى :

قلت : كيف تكتب ، خاشعاً وخاضعاً ، بالحروف اللاتينية ؟ قال هكذا : Khaashji و Khadij فأركب K ، H للدلالة على الخاء ، و S ، H للشين وأضع مدا على A وأدل على العين بالحرف ا مفصلاً عما قبله بشولة كما يفعل المستشرقون

قلت فلماذا كل هذا العناء ؟ لقد اضطررت أن تنقط وتشكل في الحروف اللاتينية ، أترى هذا أيسر وأبين من خاشع وخاضع ، قال : لا ، ولكن الكلمتين بالخط العربى خاليتان من حروف الحركة قلت : فضح كسرة تحت الشين والضاد . وهذا حسبك ، بل لست في حاجة إلى هذه الكسرة فوزن الكلمة يعين حركاتها . قال هذا صحيح في هذا المثال ، فما بال الكلمات الأخرى . قلت : صدقت ففهم تتناول الموضوع على عمومه
- ماذا تنعمون من الكتابة العربية ؟

- فنعم منها أنها كتابة لاتينية عن الألفاظ ، فهذه الصورة « حسن ، قراً حَسَن ، وحَسَن ، وحَسِن ، وحَسِّن ، وحَسِّن ، وحَسِّن . . . الخ

- قد كانت كتابتنا أول عهدنا غير معجمة ولا مشكولة ، مثلاً كانت الجيم والحاء والهاء ترسم بصورة واحدة فأهجم السلف الحروف فامتاز بعضها من بعض ، ثم وجدوا الحرف الواحد في أكثر حالاته مبهم الحركة فشكّلوا الحروف فتميزت الحركات ، واستبان الألفاظ ، وكان للحروف صور غير صورها الحاضرة ، أزال بها الاختراع ، والتجميل والتجويد حتى بلغت جمالها الحاضر ، وتمتدت الخطوط ، وجعل لكل مقصد ضرب بوائمه ، فكان خط الثلث والنسخ والرقعة وغيرها . فإن كنتم يارجال القرن العشرين أحياء قادرين على الابتعاد ، آية آتئين من الحماكة ، وإن تكن عقولكم غير سقيمة ، وقراءتكم غير عقيمة ، فانظروا في كتابتكم ، فإن رأيتم عيباً فأصلحوه ، وإن آنستم نقصاً فأكلوه ، ولا تكونوا في عصور العلم ضلالاً ، وفي نور القرن العشرين ظلالاً ، أدخلوا في الكتابة حروف

ونحن ما كولين . وهذا حديث يضيق عنه مقامنا الآن . وبعد فلماذا يكون توحيد الكتابة بالحروف اللاتينية ولا يكون بالحروف العربية ؟ ان أردت أن تمتحن صدق الداعين إلى التوحيد فادعهم إلى استعمال الحروف العربية فستبلغ بهم الكبرياء والازدراء والسخرية والعجب ألا يجيئك بكلمة . ولن يكون ذلك لما عرفوا من فضل حروفهم على حروفنا ، بل لأن هذه حروفهم وتلك حروفنا . وسيترك في السخرية من لم ير الحروف العربية قط . ثم هل اتفق الأوربيون على الكتابة بحروف واحدة ؟ وهل استعملوا الحروف التي اتفقوا عليها بأسلوب واحد ؟ أذكر أنه منذ ثلاث سنين جاء إلى أستاذ كبير في الجامعة المصرية كتاب من جماعة في أوروبا يدعونه إلى العمل معهم على تميم الحروف اللاتينية في العالم ، فسألني رأيي فيما يجيبهم به فقلت ان كان لا بد أن يجيب فاكتب إليهم أن ابدأوا بكتابتكم فوحدها فاذا صار الروسي واليوناني والألماني والفرنسي والانكليزي والاسباني الخ يكتبون بحروف واحدة ، وأجمعوا في كتابة هذه الحروف على نمط واحد فاكتبوا إلينا لنفكر في الأمر

وبعد ، فاللغات يا أخي مهما أحكمت كتابتها ، لا تؤخذ من الكتب وحدها بل لابد لها من التلقين . تعرف الكلمة بالسمع ثم تدل الكتابة عليها دلالة تامة أو ناقصة . وكثيراً ما تكون الحروف كالرموز أو العلامات يلحها الانسان فيعرف ما وراءها من لفظ قبل أن يكمل قراءتها ، ويدرك اللفظ من صورة الحروف مجتمعة بل كأنه يفهم المعاني من النقوش دون توسط الألفاظ . وإذا أسرع القاري سلط عينيه على المكتوب وقصر لسانه عن مجازاة عينيه ، ثم يا أخي هل بلغت الحروف اللاتينية التي فتنتم بها درجة الكمال ، وبرتت من العيوب ؟ ألت ترى الصوت الواحد تدل عليه حروف عدة فصوت الكاف تدل عليه c ، k ، q ، والحرف الواحد يدل على أصوات مختلفة فالحرف c يلفظ مرة ك وأخرى س ، و s يكون س حيناً وحيناً ز وهلم جرا

والكتابة الفرنسية ، وهي أدق الكتابات الأوربية ، فيها عيوب كثيرة فاللفظ الواحد أو الألفاظ المتحدة في الصوت تكتب بصورة مختلفة مثل palais و pose, palet و pot, pause فالصوت وحده لا يدل على رسم الكلمة . وكم في الفرنسية من حروف تكتب ولا

تلفظ أحياناً كما ترى في الكلمات السابقة وأنت تعرف الكتابة الانكليزية ، ودلالاتها على الألفاظ بالجملة لا التفصيل ، وكم من حرف فيها يلفظ ولا يكتب وآخر يكتب ولا يلفظ وحسبك مثل daughter و night laugh, neighbour و wright . ولو قرأ قارى الكلمات الانكليزية كما تدل عليها حروفها ما فهم عنه أحد ، وقل أن تسأل رجلاً أو صبياً انكليزياً عن اسمه أو اسم شارع إلا أتبع الاسم بهجائه علماً بأن الصوت لا يدل على الحروف والامبراطورية الانكليزية ، مع هذا ، لم تضمحل بهذه الكتابة ، والأساطيل البريطانية لم تصطدم بهذه الحروف وما رأيت مصرياً من الميانيين الطمانيين في الحروف العربية جرؤ مرة على عيب الاملاء الانكليزي أو تنبه إلى عيوبه . وذلك بأن الحروف العربية لا تحمبها امبراطورية ولا أساطيل ، نموذجاً لله من ضعف الهمم ، وذل الأمم

ولن للحروف العربية لمزايا عظيمة فهي أيسر كتابة . لا تمل على صبي كلمة فيخطئ كتابتها إلا الكلمات الهموزة . وهي كذلك أخصر رسماً يستطيع كاتبها أن يسر خطياً أو مدرساً فيكعب كل ما يقول ، وهي في جملتها أوضح من كتابة اليد في اللغات الأوربية . قال لي مستشرق ألماني كبير قد أثنى اللغات العربية والفارسية والتركية ، وحذق كثيراً من لغات أوروبا : « ما أشكل علىّ فقط قراءة رسالة عربية وقد أشكل على وعلى غيري صرات كثيرة قراءة رسائل ألمانية »

هذا إلى ملاءمة الكتابة العربية للعين . قال لي طبيب كبير من أطباء العيون : إن الحروف اللاتينية بكثرة زواياها أشق على البصر من الحروف العربية

إن مجال القول يا صاحبي واسع . وما بكم صعوبة الحروف العربية ، ولكن الفرام بتتابعة أوروبا ، والحجل من التمسك بما أوردتكم آباءكم . ما بكم علة الحروف العربية ولكن علة الذلة والمهانة ، واحتقار أنفسكم وتعظيم غيركم . إن المريض يكتر يتحدث عن صحته ، ويكثر اتهام الأطعمة والأشربة ، كلما أحس السقم ظن أن الماء الذي شربه قد أضربه ، أو أن الطعام الذي طعمه لم يلائمه . فكذلك أنتم تخلعون على أنفسكم على اللغة أو الكتابة أو غيرها وإعلاء الداء الدوي في أنفسكم ، والعلة القاتلة في سرائركم

(له بقية)

عبد الرهاف عزام